حوار من أجل تصحيح خطأ تاريخي

د . محمد بن سعد الشويعر *

كنت قد أخرجت كتاباً صغيراً باسم "تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية"، يقع في ١١٠ صفحات تقريباً، وطبع للمرة الأولى بتطوان بالمغرب عام ١٤٠٧هـ، وطبعته دار المعارف بالرياض الطبعة الثانية عام ١٤١٣هـ ، أوضحت فيه ، أن خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وأعداء دين الله الحقّ من أرباب المصالح الدنيوية، ممن يريد إطفاء نور الله، والتصدّي لمن يريد أن يحقق التوحيد الذي أمر به الله، وأرسل به رسله من أولهم إلى آخرهم : دعوة وتطبيقاً، وتنقية من مداخل الشرك .

فوجدوا دعوة خارجية أباضيّة، في شمال أفريقيا ، نشأت في القرن الثاني الهجري، باسم الوهابية، نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم الخارجي الأباضيّ ، ووجدوا فتاوى من علماء المغرب والأندلس ممن عاصرها ، أو جاء بعدها . فأرادوا شيئاً عاجلاً ، يحقق الغرض ، وينهض الهمم لإسكات الدعوة الجديدة، خوفاً من توسّع الدائرة الإسلامية ، حيث قامت الدولة السعودية الأولى مناصرة للدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب . فتصافحت يدا

* ليسانس من كلية اللغة العربية بالرياض ١٣٧٩هـ .
- ماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ١٣٩٣هـ .
- دكتوراه من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ١٣٩٧هـ .
- يعمل حالياً مستشاراً لسماحة مفتي عام المملكة ، ورئيس هيئة تحرير مجلة البحوث الإسلامية .

الإمامين : محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله - في عام ١١٥٧هـ على القيام بهذه الدعوة، نصرة لدين الله وأداء لأمانة التبليغ.

فوفقه الله، ولقيت الدعوة قبولاً وتأييداً، حيث امتدت إلى العالم الإسلامي كله ، وتأثر بها العلماء من الحجاج ، وبدأوا في نشرها ببلادهم .

فخاف المنتفعون دنيوياً من آثارها، ووجدوا الضّالة في الوهابية الرستمية، المدفون خبرها في سجلات التاريخ ، فنبّشوا في فتاوى العلماء حولها . وكانت فرصة بإلباس الثوب القديم للدعوة الجديدة، ووجدت الإشاعة صدى في النفوس ؛ لأن أرباب المنافع الدنيوية جهدوا في التّمويه والتّشويه، والناس عادة يتلقّفون الكذب أكثر من اهتمامهم وتحرّيهم للصدق . ولذا ؛ فإن للإشاعات دوراً كبيراً في تغيير المفاهيم ، ووضع تصوّرات تغاير الواقع ، بحسن نيّة أو سوء فهم . وفي حدود عام ١٤٠٧هـ كان نقاش علمّي ، مع أحد علماء المغرب، حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - حقق نتيجة مرضية ، وصحح مفهوماً تاريخياً سائداً ، وقد رغب إلي أكثر من أخ كريم ، ذكر سبب تأليف تلك الرسالة كتابياً ، حيث ذكرتها لهم شفوياً ؛ لأنها أمكن في البلاغ ، ويطلع عليها أكبر عدد ممكن، حيث تبقى حيّة لمن يريدها، واستجابة لذلك أقول:

قد يكون من المناسب الاشتراك مع القارئ في السبب الذي من أجله كتبت: «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية"؛ لأن الله قد جعل لكل شيء سبباً، فكان هذا الحوار، الذي تولّد عنه النقاش العلمي المقنع ، والحوار الهادئ المثمر، هو السبب المباشر لكتابة هذه الرسالة، ففي عام ١٤٠٧هـ كنت في مهمة لموريتانيا ،

ثم عرّجنا على السنغال ، وقد كان خط سير الطيران ملزماً لنا بالبقاء في المملكة المغربية ستة أيام .

وفي أحد الأيام كنت في ضيافة أحد الأساتذة بإحدى الجامعات هناك ، وأرمز له بـ : الدكتور عبدالله . وفي جلسة بمكتبته ، دارت أحاديث شتّى ، ومن محبته للمملكة ، وحضوره مؤتمرات عديدة بها ، طرح عليّ هذا السؤال ، أمام الحاضرين وعددهم ، يقارب الاثني عشر شيخاً ، من فضلاء البلاد هناك :

- قال : إننا نحب المملكة، ونفوس المسلمين وقلوبهم تهفو إليها ، وبيننا وبينكم تقارب كبير وتفاهم بين القيادات ، وإعجاب بما يؤديه حكام وعلماء المملكة من جهود مخلصة، للإسلام والمسلمين، ولكن حبذا لو تركتم المذهب الوهابيّ، الذي فرق بين المسلمين ؟ ! .
- فأجبته : قد يكون علق بالذّهن معلومات خاطئة ، مأخوذة من غير مصدرها السليم ،ولكن حتى تلتقي المفاهيم ، نحب أن نطرح الموضوع بحضور الإخوة للنقاش العلميّ ، المقرون بالبراهين ، ثم قلت :
- ولما كان كل إنسان ترتاح نفسه ، ويطمئن قلبه ، لما ألفه علماء بلده ؛ فإنني في هذا الحوار لن أخرج عما في محتويات هذه المكتبة التي تضمنا جدرانها الأربعة، لأنك كما تراني الآن لا أحمل كتباً، ولم يخطر ببالي مثل هذا النقاش.

ولذا قبل أن نبدأ: أرجو أن يكون نقاشنا بعيداً عن التعصّب والانفعال، أو طرح الآراء بدون دليل مقنع يعوّل عليه؛ لأن نشدان الحقيقة، هو هدفنا ، والامتثال لأمر الله وأمر رسوله ﷺ هو غايتنا ، ونصرة دين الله هو المؤمل من كل منّا .

قال : أوافقك على هذا ، وأصحاب الفضيلة المشايخ هم الحكم بيننا .

قلت: رضيت بذلك، وبعد التوكل على الله أرجو أن تطرح أيّ مدخل للحوار.

قال: خذ مثلاً ما ذكره الونشريسي في كتابه المعيار الجزء ١١، وهو قوله : سئل اللخميّ عن أهل بلد بنى عندهم الوهابيون مسجداً، ما حكم الصلاة فيه؟ (١).

وللمعلومية : فإن كتاب المعيار هذا ، هو كتاب يجمع الفتاوى في الفقه المالكي ، جمعه أحمد بن محمد الونشريسي ، وطبع في ١٣ مجلداً ، وقد طبعته الحكومة المغربية ، وتوزع منه نسخ بالإهداء .

- بعد طرح السؤال ، وإحضار الكتاب المذكور ، ج١١، أجبته : بأن الفتوى على هذا السؤال صحيحة ، ونوافق اللّخمي على ما جاء في فتواه .

قال : إذاً اتفقنا على هذه الفرقة ، وخطأ ما تسير عليه ، خاصة أن المفتي

قال : هذه فرقة ، خارجيّة ضالة كافرة ، قطع الله دابرها من الأرض ، يجب هدم المسجد وإبعادهم عن ديار المسلمين .

قلت : لم نتفق بعد ، ومازلنا في بداية الحوار ، ولعلمك : فإن هذه الفتوى لها نظائر كثيرة قبل اللخميّ وبعده ، موجودة لدى علماء الأندلس ، وفقهاء شمال أفريقيا ، وهي مستمدة من حكم رسول الله ﷺ في الخوارج ، الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان .

وفي نقاشنا هذا ، سوف نصل - بإذن الله - إلى تصحيح المفهوم التاريخيّ، بين ما تعنيه هذه الفرقة ، التي أفتى علماء الإسلام في الأندلس ، وشمال

---

(١) انظر المعيار المغرب في فتاوى أهل المغرب ، ج١١، ص١٦٨، والسؤال في المعيار أوسع مما ذكر هنا .

أفريقيا، وبين التسمية التي ألصقت وضعاً مستهجناً، بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - التصحيحيّة. هذا التصحيح لن يكون مقنعاً إلا بقرائن وبراهين، مرضيّة عندكم ؛ لأن رائدنا جميعاً الوصول إلى الحقيقة لذات الحقيقة ، والرأي الهادئ المقنع هو الذي تنجلي به الغشاوة وتصحح المفاهيم .

قال : كلنا نريد الوصول لهذه الحقيقة ، ثم قال وبعد هذه الفتوى، نريد أن تعطينا ما عندك ، ونحن نستمع والإخوة يحكمون بيننا ، ويصوّبون أو يخطئون ما يقال ، أو يعرض أمامهم .

قلت : سترون - إن شاء الله - ما ينير الطريق لمن يريد الوصول للرأي الصائب ، في استجلاء الأمر ، ولهذا : نبدأ بما لدينا من أجزاء المعيار ..

ولعلك تقرأ طرّة الكتاب ليسمع الإخوة ؟

قال : تريد الفتوى حتى أقرأها أمامهم ، أم أبدأ بما على الغلاف الخارجيّ من معلومات ؟

قلت : بل الغلاف الخارجي ، أو الداخلي فهما سواء ..

فقرأ : الكتاب المغرب في فتاوى أهل المغرب ، تأليف : أحمد بن محمد الونشريسي المتوفَّى عام ٩١٤هـ بفاس بالمغرب .

قلت لأكبر المشايخ سناً، وهو شيخ وقور، هادئ الطبع، اسمه أحمد: يا شيخ أحمد سجّل تاريخ وفاة المؤلف أحمد الونشريسي ، فرصد ذلك عام ٩١٤هـ .

ثم قلت : هل من الممكن إحضار ترجمة اللّخميّ ؟

قال : نعم ؛ ثم قام إلى رفّ من رفوف المكتبة فأحضر جزءاً من أحد كتب

التراجم ، وفيه ترجمة : علي بن محمد اللّخمي، مفتي الأندلس وشمال أفريقيا ، والترجمة طويلة ، وفيها ثناء عليه وعلى علمه ، فقلت : إن بيت القصيد في نهاية الترجمة : فمتى توفي ؟

- قال القارئ : وتوفي عام ٤٧٨هـ [١] .

فقلت للشيخ أحمد : اكتب تاريخ وفاة الشيخ علي اللّخمي ، فكتبه في عام ٤٧٨هـ .

فقال الدكتور عبدالله : هل تشك في علمائنا وفي فتاواهم ؟

قلت : وما دليلك على هذا الشّك ؟ . ثم التفتّ إلى المشايخ ، وقلت : هل بدر مني ما يدعو إلى الشك التي أوجبت هذا القول ؟ فكان الجواب بالإجماع : النفي .

قلت : ولكي أنفي الشك عني ، وعن علمائنا في بلادي ؛ فإننا نحترمهم ونجلّهم ، ونصوّب كل فتوى تصدر عنهم ، يدعمها الدليل من الكتاب الكريم ، والصحيح من سنة رسول الله ﷺ .

ولكن الوصول إلى ما بدأنا الحديث من أجله ، مقروناً بما يدعمه ، يحتاج إلى شيء من الأناة والصبر .

ومن باب استعجال الجواب : أطرح على الجميع هذا السؤال : هل يمكن أن يفتي العلماء على معتقد لم يوجد صاحبه الذي ينسب المعتقد إليه بعد ، أو الحكم على ملّة من الملل لم تظهر بعد ؟؟ !! .

---

(١) الحلل السندسية ص١٤٣ ، والأعلام للزركلي ٥ / ١٤٨ ، وفي الحلل السندسية أنه توفي بسفاقس .

قالوا جميعاً: لا ؛ ولم يعرف هذا، إلا ما جاء عنه إخبار من رسول الله ﷺ، وهذا من معجزات النبوة ، وفي الغالب يأتي بالوصف دون المسمَّى .

قلت : موجهاً الكلام لمحدّثي : ألست تعتقد ويعتقد غيرك أن الوهابية ، أول من أنشأها محمد بن عبدالوهاب في نجد ؟ . قال : بلى .

قلت : إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، عندما أفتى اللّخمي ، وغيره من علماء المالكية في الأندلس، وفي الشمال الإفريقي، كان أكثر من اثنين وعشرين من أجداده لم يولدوا بعد ، باعتبار أن المتوسط لكل قرن ثلاثة جدود ، كما أن بين وفاة عبدالوهاب بن رستم ووفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ما يقرب من واحد وثلاثين جداً . وعلماؤكم، وعلماء المسلمين لا يعلمون الغيب، وننزّههم عن الكهانة والسحر، وعن القول في أمر لا يعلمونه ، يقول سبحانه : ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون**﴾ [(١)] .

قال : أوضح أكثر ! !

قلت : إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولد عام ١١١٥هـ ، ومات سنة ١٢٠٦هـ ، وبينه وبين أحمد الونشريسي الذي ألّف كتاب المعيار ، ونقل الفتوى عن اللّخمي ، كما مرّ بنا - مئتان واثنتان وتسعون سنة (٢٩٢) وفق تاريخ الوفاة ، كما أن بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب . وبين اللّخمي ، وهو صاحب الفتوى سبع مئة وثمانية وعشرون عاماً (٧٢٨) وفق تاريخ الوفاة ، وفق ما سجل الشيخ أحمد لوفاة كل منهما .

---

(١) سورة النمل ، آية ٦٥ .

ويقاس على هذا كل من أفتى ، من علماء الأندلس وشمال أفريقيا عن تلك الوهابية .

قال : هل يمكن أن توضح أكثر لما تعني ، بدليل مقنع ؟ .

قلت : لم يهتم علماء الشمال الأفريقي والأندلس ، بالفتاوى عن الوهابية والتحذير منها ، إلا لأنها موجودة عندهم بخلاف ديار المسلمين الأخرى ، التي وضّح فرقها الشهرستاني في كتابه الملل والنحل[١] . وابن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل [٢] .

وفي موضوعنا : ألا يوجد عندك كتاب : الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا ، الذي ألّفه الفرنسي : ألفردبل ، وترجمه للغة العربية : عبدالرحمن بدوي ؟ ، وهو جزء واحد .

قال : ها هو موجود ، ثم قام وأحضره .

قلت : فلنقرأ في آخره ، حرف الواو ؛ فقرأ أحدهم : الوهبية أو الوهابية: فرقة خارجية أباضية أنشأها عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم ، الخارجي الأباضيّ ، وسميت باسمه وهابية . الذي عطّل الشرائع الإسلامية، وألغى الحج، وحصل بينه وبين معارضيه حروب ... إلى أن قال : المتوفى عام ١٩٧هـ بمدينة تاهرت بالشمال الأفريقي، وأخبر بأن فرقته أخذت هذا الاسم : لما أحدثه في المذهب من تغييرات ومعتقدات ، وكانوا يكرهون الشيعة ، قدر كراهيتهم لأهل السنة [٣] ، وكان ألفرد هذا قد تحدث في كتابه المنوه عنه : عن الفرق

(١) يراجع هذا الكتاب وهو جزءان ، حيث لا توجد فيه فرقة باسم الوهابية .

(٢) يراجع هذا الكتاب وهو ٤ أجزاء ، حيث لا توجد فيه فرقة باسم الوهابية .

(٣) انظر ص ١٥٠ من هذا الكتاب ، ومن ص.١٤٠ إلى ص١٥٢ منه .

الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى وقت المؤلف في العصر الحاضر تقريباً .

وعبدالوهاب بن رستم قد اختلف في تاريخ وفاته ، عند من كتب عنه ، ويرى الزركلي في الأعلام أن وفاته نحو ١٩٠هـ [١] .

عند ذلك قلت له وللحاضرين : هذه هي الوهابية التي فرّقت بين المسلمين، وصدرت بشأنها فتاوى من علماء وفقهاء الأندلس وشمال أفريقيا ، كما تجدون في كتب العقائد عندكم ، وهم محقّون فيما قالوا عنها .

أما دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، التي ناصرها الإمام محمد بن سعود - رحمهما الله - السلفية التصحيحية ، فهي ضد الخوارج وأعمالهم ؛ لأنها قامت على كتاب الله ، وما صح من سنة رسول الله ﷺ ، ونبذ ما يخالفهما وهم من أهل السنة والجماعة .

والشبهة التي انتشرت في ديار الإسلام ، قد روّجها أعداء الإسلام والمسلمين من مستعمرين وغيرهم ، لكي تبثّ الفرقة في صفوفهم ، فقد كان المستعمرون يسيطرون على غالب العالم الإسلامي ذلك الوقت ، وهو وقت عنفوانهم ، ويعلمون من واقع حروبهم الصليبية ، أن عدّوهم الأول في تحقيق مآربهم : الإسلام الخالي من الشوائب ، وتمثّله السلفية ، ووجدوا ثوباً جاهزاً ، ألبسوه هذه الدعوة تنفيراً ، وتفريقاً بين المسلمين - لأن مبدأهم فرّق تسد -، حيث إن صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله - ، لم يخرجهم من ديار الشام إلى

(١) الأعلام للزركلي ، ط٥ ، دار العلم للملايين ٥ : ١٩٨ .

غير رجعة ، إلا بعد أن قضى على دولة الفاطميين - العبيديين الباطنيين - من مصر (١) ، ثم استقدم علماء من أهل السنة من الشام ، ووزّعهم في الديار المصرية ، فتحولّت مصر من التشيّع الباطنيّ إلى منهج أهل السنة الواضح دليلاً وعملاً واعتقاداً .

فالمستعمرون خافوا من إعادة الكرّة ، بعدما رأوا دولة التوحيد السنّية ، التي قادها الإمامان محمد بن عبدالوهاب ، ومحمد بن سعود ، ثم من جاء بعدهما ، تتسع أعمالها ، ويكثر المستجيبون لما تهدف إليه هذه الدعوة ، ومعلوم لديكم أن المستعمر ما دخل بلداً إسلامياً إلا حاول إقصاء أهل السنة ، وتقريب أهل الأهواء والبدع ؛ لأنهم مطيته فيما يريد عمله في ديار الإسلام .

كنت أعتقد أن هذا الجواب فيه إقناع ، لكن أحدهم طرح سؤالاً قال فيه : ألا يكون محمد بن عبدالوهاب ، قد أخذ منهج السابقين ، وأحياه من جديد ، واتّبع طريقتهم ؟ ! .

قلت : أولاً : لبعد الاتصالات بين المكانين ؛ فإن المعلومات لا تصل ، ولم يكن لدعوة عبد الوهاب بن عبدالرحمن بن رستم ذكر في تاريخ الجزيرة العربية، بل كما مرّ بنا لم يكن لها تصنيف عند الدارسين والراصدين للملل والنحل والأهواء ، كالشهرستاني وابن حزم ، ولا في ردود ابن تيمية ، وابن رستم مات قبل هؤلاء بزمن . مما يدل على أن دعوة عبدالوهاب بن رستم «الوهابية» لم تتعدّ الشمال الأفريقي ، والأندلس قبل ضياعها .

(١) يراجع في هذا تاريخ الطبري ، والكامل لابن الأثير .

ثانياً : أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، تختلف عن دعوة جميع الفرق ، المخالفة لكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ؛ لأنها دعوة تجديدية على منهج السلف الصالح ، ولم يأت بشيء يخالف ذلك .

ثالثاً : تسمية الدعوة التي قام بها الشيخ محمد «وهابية» نسبة إليه خطأ لغويّ ، لأن والده لم يقم بها .

وإلاّ لاشترك في هذه النسبة الوالد وأولاده ، ومحمد واحد منهم لتصبح نسبة مشتركة

رابعاً : الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، في دعوته لا يوافق الأباضية في آرائهم ، ولا غيرهم من الفرق التي ذمّها علماء أهل السنة منذ نشأت في ديار المسلمين ، وكتبه ورسائله توضح ذلك .

خامساً : أما ما نسب إليه من أمور ، فسوف آتي بشواهد - إن رأيتم في الوقت متسعاً - من كلامه وكلام تلاميذه بالتبرئ مما نسب إليه كذباً وزوراً ، ويقول في كلامه : سبحانك يا رب هذا بهتان عظيم . فكيف ينسب للإنسان شيء هو يتبرأ منه ؟ ؟ ! ! .

- لكن سوف نستكمل الحوار ، ولعلنا نجد في هذه المكتبة - بحول الله - ما يزيل ما علق بالأذهان من شبهة ؟ والحكمة ضالة المؤمن .

ثم قلت : لعلنا نجد عندكم : كتاباً تاريخياً عن منطقتكم اسمه : تاريخ شمال أفريقيا من تأليف : أحد الغربيين في فرنسا ، واسم المؤلف : شارلي أندري ، وقد ترجمه إلى اللغة العربية : محمد مزالي رئيس وزراء تونس الأسبق ، والبشير بن سلامة ..

قال الدكتور عبدالله : نعم موجود ؛ فأحضره ، وهو ثلاثة أجزاء .

وباستعراض الفهارس : قرأنا في الجزء الثاني ، عن ممالك الخوارج ، ومن ضمنها مملكة تاهرت، التي هي الدولة الرستمية، حيث توسع المؤلف في الحديث عن معتقداتها واتّساعها ومعالمها الحضارية ، وتسميتها بالوهابية ، نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم، الذي خالف أهل ملّته ، كما أبان في عشر صفحات ، بأن هذه الوهابية - الرستمية - تخالف أهل السنة في المعتقد [1] .

- ثم قلت : ولعلك تحضر أيضاً : كتاب : المغرب الكبير، العصر العباسي للدكتور : السيد عبدالعزيز سالم ، إن كان موجوداً في هذه المكتبة .

قال : نعم موجود ؛ ثم أحضره .

فقرأنا سوياً بعد إحضاره، في الجزء الثاني عن الدولة الرستمية، في مدينة تاهرت بالمغرب : أن عبدالرحمن بن رستم ، وهو من أصل فارسي ، عندما أحسّ بدنوّ أجله في عام ١٧١هـ، أوصى لسبعة من خيرة رجال الدولة الرستمية، ومن بينهم ابنه عبدالوهاب، ويزيد بن فنديك ، وقد بويع عبدالوهاب ، مما ترتب عليه نشوء خلاف بينه وبين ابن فنديك .

وقد انقسمت الإباضيّة التي هي ديانة ابن رستم ومن معه ، حيث نقلها من المشرق إلى المغرب إلى فرقتين : الوهابية نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن ابن رستم ، والنكارية ، ودارت بين الطرفين معارك ومقاتل ، تنهزم فيها النكارية ، إلى أن قتل زعيمها : ابن فنديرة وفي حالة ضعف من النكاريّة ، انضم إليهم الواصلية المعتزلة .

---

(١) انظر هذا الكتاب الجزء الثاني من ص٤٠ - ٥٠ ، وفي مواطن أخرى .

ثم قال : وقد عزم عبدالوهاب هذا على الحج في آخر حياته ، إلا أن أتباعه نصحوه بالبقاء في «نفّوسه» خوفاً عليه من العباسيين (١) .

- ثم قلت : ولو رجعنا إلى كتاب ألفرد بل ، عن الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، من الفتح الإسلامي حتى اليوم ، لوجدناه في موضع آخر يقول : الخوارج الوهبيين الذين سموا نسبة إلى عبدالله بن وهب الراسبي ، الذي قاتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في النهروان هم : خوارج أباضية، وعن انقسامهم قال : بأن أباضيّة المغرب ، في تاهرت منهم، وهم الذين كانت دولتهم الرستمية في شمال أفريقيا ، وكانوا أشدّ تعصباً ، وأتباع عبدالوهاب بن رستم، الذي سميت فرقته بالوهابية نسبة إليه، لما أحدثه في المذهب من تغييرات ومعتقدات .

وقد تحدث في هذا الأمر قرابة اثنتي عشرة صفحة ، وأخبر أنهم يكرهون أهل السنة (٢) .

ثم قلت : من هذا الرّصد وغيره من كتب العقائد والسّير ، في تاريخ شمال أفريقيا ، يبرز أمام طالب الحقيقة، ما حرص عليه الكاتبون من تفنيد لمعتقدات خوارج الأباضيّة الرّستميين ، الذين منهم الوهابيون - نسبة إلى عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم - منذ خرجت هذه الفرقة في القرن الثاني الهجري ، حيث أكّدت ذلك جميع المصادر .

(١) انظر هذا الكتاب ج٢ ، ص٥٥١ - ٥٥٧ طباعة دار النهضة العربية بيروت ، وفيه معلومات أشمل عن عبدالوهاب هذا ودولته، وذكر أن وفاته كانت عام ٢١١هـ .

(٢) يراجع الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ، ص١٥٠ .

والشيخ محمد بن عبدالوهاب ، الذي قام بدعوته للقضاء على الشوائب التي أدخلت على الإسلام في صفائه ونقاوته ، رغبة منه في تصحيح العقائد ، وتنقيتها من مداخل الشرك والبدع ، مثلما سار من قبله دعاة منهم أحمد بن حنبل ، وشيخ الإسلام ابن تيمية في الشام ، والعز بن عبدالسلام في مصر ، وغيرهم ؛ كلهم وغيرهم من أئمة الإصلاح والتجديد ، يخالفون ملل الخوارج ، وما يدعون إليه من معتقدات واعتزال ، وبدع ، تخالف ما درج عليه أهل السنة والجماعة ، وهذا مرصود في كتب : الملل والأهواء والنحل .

- فحصل بحمد الله الاقتناع ، خاصة بعد أن تردد اسم الوهابية في مصادرهم التاريخية والعقدية، مراراً مع إيضاح نماذج مما يدعون إليه. لكنني أحببت ترسيخ هذا المفهوم عندهم، بما لا يدع مجالاً للشك، ولكي يستفيد منه من يطلع عليه عند تدوينه، وفقاً لكلام البلاغيين : زيادة المبنى، زيادة في تمكين المعنى .

فقلت : ما رأيكم إذا اتّسعنا مع المصادر ، وبرز أمامنا من الحقائق التاريخية زيادة على ما ذكر ، ما يدل على أن علماء بلادكم وحكامها قد اهتموا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عندما حرص آل سعود على نشرها ، وتبليغها لحكام المسلمين بالمكاتبات ، وبعث المندوبين اقتداء بأسلافنا في أداء الأمانة ، وتبليغ ما قاموا من أجله ، أخذاً من قول الله سبحانه : ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون**﴾ [1] ، حيث قام حكام المغرب الأقصى وعلماؤه بالتّقصيّ والمحاورة ، ثم اقتنعوا بسلامة هذه الدعوة .

---

(١) سورة الزخرف ، آية ٤٤ .

قالوا : نعم ؛ نريد المزيد . بالشيء المفيد ، المقنع والموثّق ..

قلت : سوف يكون ذلك إن شاء الله .

ثم قلت : لعلكم تعلمون أن الإمام سعود بن عبدالعزيز - وهو الإمام الثالث في الدولة السعودية الأولى - قد بعث بعد ما دخل مكة في عام ١٢١٩هـ ، رسائل لملوك شمال أفريقيا : تونس والمغرب الأقصى وغيرهم ، يشرح فيها حقيقة التوحيد، وأصول الدين الذي جاء به محمد ﷺ، صافياً نقياً من الأمور التي أدخلت عليه ، وبلّغه للناس بصدق وأمانة ، عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وهي رسالة من ثلاث صفحات ، حسبما نشرتها مجلة ألمانية اسمها إسلاميكا "ISLAMIGA" مع دراسة باللغة الألمانية ، لما تعنيه الدعوة التي قاموا بها ، من أحد المستشرقين (١) .

وكانت هذه الرسالة توضح بمحتواها ونصّها العربي : ما قام به الإمام سعود ووالده من قبل . من عمل وفق أمر الله وأمر رسوله ﷺ بالدعوة إلى دين الله على نور من الله ، ليزيل ما قد يكون علق بالأذهان من أكاذيب قيلت عن الدعوة ، ونقاها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، قبل وفاته [١١١٥ - ١٢٠٦هـ] ، وفي ردوده بقوله : سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقبلنا كُذب على صفوة الخلق عليه الصلاة والسلام ؛ كما في رسالته - رحمه الله - لعبدالله بن سحيم وهو من المعارضين له ، وفي رسالته إلى عالم بغداد الشيخ عبدالرحمن السويدي رحمه الله تعالى : بعد أن بين لهذا الأخير عقيدته ، وما يدعو الناس

(١) تراجع هذه المجلة المجلد ٧ عام ١٩٣٥م .

إليه من إخلاص العبادة لله تعالى ، وإنكار ما فشا في الناس من أمر الشرك ، من دعاء الأموات ، والالتجاء إليهم من دون الله تعالى، قال : فقام بسبب هذه الدعوة من عارضنا في ذلك ، وافترى علينا الكذب - إلى أن قال : - فإني ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وغير ذلك من فرائض الله ، ونهيتهم عن الربا وشرب الخمر وأنواع المنكرات ، فلم يمكّن الرؤساء القدح في هذا وعيبه، لكونه مستحسناً عند العوام، فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما أمر به من التوحيد، ونهى عنه من الشرك، ولبّسوا على العوام: أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس وكبرت الفتنة جداً ، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله ، منها : إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه ، فضلاً عن أن يفتريه ، ومنها ما ذكرتم: أنّي أكفّر جميع الناس إلا من اتّبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل ؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ؟؟!! . وبعد أن عدد أموراً كثيرة مما نسب إليه قال : والحاصل : أن ما ذكر عنّا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك ، فكله من البهتان ، وهذا لوخفي على غيركم ما خفي عليكم (١) .

ثم قلت : ومن رغبة الحكام والعلماء في المغرب ، التّقصي ، نرى الحقيقة التالية :

---

(١) انظر هذه الرسالة ورسالته - رحمه الله - إلى عبدالله بن سحيم، ورسالة ابنه عبدالله في تكذيبهم لما نسب إليهم كتاب : البيان والإشهار للشيخ فوزان السابق - رحمه الله - الطبعة الأولى عام ١٣٧٢هـ ص٨٢ - ٨٤ . ورسائل الشيخ طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمناسبة أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، مجلد الرسائل الجزء الخامس .

١ - تأثر بهذه الدعوة واهتّم بها وبمحتواها بعد الدراسة والتّعمق ، سلطان المغرب الأقصى : سيدي محمد بن عبدالله العلوي ، جدّ الأسرة الحاكمة الآن :

حيث قام بمحاربة البدع في بلاده ، كما حارب تشعّب الطرق الصوفية ، ودعا إلى الاجتهاد ، وإلى انتشار السنة ؛ لأنه ذلك الوقت من أقوى الحكام المسلمين ، ولأن بلاده قد اكتوت بنيران : الباطنية العبيدية، وأصحاب البدع مع تفشي الجهل، والوهابية الرستمية الخارجية الباطنية، علاوة على الغزو الصليبي للشمال الأفريقي ، بعد سقوط الأندلس في أيدي الإفرنج .

وقد ذكر محمد جمعه في كتابه : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، أموراً من أعمال سيدي محمد بن عبدالله العلوي ، فيما يتفق مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وحرصهما على تنقية التوحيد من البدع والشرك مع الله [١] .

هذا السلطان هو الذي وصفه المؤرخ الفرنسيّ : شارلي جوليان ، في كتابه: تاريخ أفريقيا الشمالية الذي ترجمه إلى اللغة العربية : محمد مزالي والبشير ابن سلامة الذي مرّ بنا ذكره قبل قليل .

فقرأنا في الجزء الثاني قوله : وكان سيدي محمد ، وهو التقي الورع ، علم بواسطة الحجيج ، بانتشار الحركة الوهابية في الجزيرة العربية ، وتأييد آل سعود لها ، وقد أعجب بعباراتها ، وكان يؤثر عنه قوله : «أنا مالكي المذهب، وهابيّ العقيدة» ، وقد ذهبت به حماسته الدينيّة ، إلى الإذن بإتلاف الكتب

(١) يراجع هذا الكتاب ، طباعة دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .

المتساهلة في الدين ، والمحللّة لمذهب الأشعرية ، وتهديم بعض الزوايا [1] .

٢ - أما مؤرخ المغرب الأقصى : أحمد الناصري ؛ فإنه توسّع في الجزء الثامن من كتابه التاريخيّ : الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى - ولابد أن يكون موجوداً ضمن محتويات هذه المكتبة - ، فقال : نعم .

فلما أحضره فتحنا على أحداث عام ١٢٢٦هـ ، فإذا هو يقول : في هذا العام حجّ جماعة من المغاربة صحبة المولى إبراهيم بن السلطان المولى سليمان ، سلطان المغرب ، الذي خلف والده السلطان : سيدي محمد بن عبدالله العلويّ ، فقال ابنه المولى إبراهيم ومن مصر من العلماء : ما رأينا من ابن سعود ما يخالف ما عرفناه من ظاهر الشريعة ، وإنما شاهدنا منه ، ومن أتباعه ما به الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام، من صلاة وطهارة، وصيام ونهي عن المنكر، وتنقية الحرمين من الآثام [2] . ثم قلت لهم : هل من شهد له وأتباعه المولى إبراهيم بن السلطان سليمان ، ومن مصر من العلماء ، بعد المناقشة في مكة أثناء الحج عام ١٢٢٦هـ ، حيث قال الناصري عن الطريقة المتّبعة في الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس ، على هيئة بديعة من الاحتفال ، وكانت الملوك تعتني به ، وتختار له أصناف الناس من العلماء والأعيان والتّجار والقاضي وشيخ الركب، وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام [3] .

هذا الركب بعلمائه ووجهائه بعد مناقشة مع الإمام سعود والعلماء، هل

(١) تاريخ أفريقيا الشمالية المنوه عنه ٢ / ٣١١ .

(٢) الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى للناصري ٨ / ١٢٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢١ .

يتفق مع عبدالوهاب بن رستم الخارجي الأباضي، صاحب الوهابية الأساسية التي جاءت عنها الفتاوى، أم أنها فرية من أعداء دين الإسلام ، وصدّقها بعض المسلمين دون تمحيص ولا روية، ولا رجوع للكتب التاريخية والعقديّة الموثقة ؟! .

قالوا جميعاً : نحن معك واقتنعنا ، لكن كيف غاب على كثير من الباحثين ، ما رصد في مصادرنا مما لا يقبل الشّك .

قلت : ولكي أزيدكم ، ويستفيد منه من يطلع عليه من بعدنا ؛ فإن الناصري في تاريخه هذا ، قد غطّى حيزاً كبيراً من أخبار هذه الدعوة، بأكثر من عشر صفحات ، وسوف أزيدكم من قوله ، وهو من المؤرخين الموثوقين عندكم ، وتاريخه من مصادر بلادكم المهمة . قالوا : نعم قلت : يقول الناصري عن السلطان سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي ، الذي بويع في فاس في حدود عام ١٢٢٦هـ ، وقد كان معاصراً للإمام عبدالله بن سعود ، ووالده الإمام العالم سعود بن عبدالعزيز ، الذي دخل مكة المكرّمة في المرة الأولى حاجاً عام ١٢١٤هـ الموافق لعام ١٧٩٩م ، بأنه أراد أن يتحقق من ابن سعود وما يدعو إليه ، فأرسل ابنه المولى إبراهيم في جماعة من علماء المغرب وأعيانه ، ومعه جواب من والده فوصلوا إلى الحجاز ، وقضوا المناسك ، وزاروا الروضة الشريفة، كل هذا على الأمن والأمان ، والبرّ والإحسان ، ثم أردف الناصري قائلاً: حدثنا جماعة وافرة من حج المولى إبراهيم في تلك السنة، أنه ما رأوا من ذلك السلطان - يعني الإمام سعود - ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا منه ، ومن أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة

وطهارة ، وصيام ونهي عن المنكر الحرام ، وتنقية الحرمين الشّريفين من القاذورات والآثام ، التي كانت بهما من غير نكير ، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى إبراهيم ، أظهر له التّعظيم الواجب لآل البيت الكريم ، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته ، وكان الذي تولّى الكلام معه الفقيه القاضي : أبو إسحاق إبراهيم الزّرعيّ ، فكان من جملة ما قاله ابن سعود لهم : إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأي شيء رأيتمونا خالفناه من السنة ، وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ؟ ؟ .

فقال له القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتيّ ، المستلزم لجسمية المستوي فقال له : معاذ الله ، إنما نقول كما قال الإمام مالك - رحمه الله - : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ؛ فهل في هذا مخالفة ؟ ! . قالوا : لا . وبمثل هذا نقول أيضاً ، ثم قال القاضي الزرعيّ له : وبلغنا أنكم تقولون : بعدم حياة النبي ﷺ ، وحياة إخوانه من الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ؛ فلما سمع ذكر النبي ﷺ ، ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه ، وقال : معاذ الله ، إنما نقول : إنه ﷺ حيّ في قبره ، وكذا غيره من الأنبياء ، حياة فوق حياة الشهداء .

٣ - ثم في نهاية هذا الحديث قال الناصريّ : وأقول إن السلطان المولى سليمان - رحمه الله - كان يرى شيئاً من ذلك ، ولأجله كتب رسالته المشهورة، التي تكلم فيها عن حال متفقّرة الوقت - ويعني بهم رهبنة الصوفية - وحذّر فيها رضي الله عنه ، من الخروج عن السنة، والتّغالي في البدعة، وبيّن فيها آداب زيارة

الأولياء ، وحذّر من غلوّ العوام في ذلك ، وأغلظ فيهامبالغة في النصح للمسلمين ، جزاه الله خيراً .

كما قال : إن المولى سليمان قد حدّد خطبة تحثّ على التوحيد، ومحاربة البدع، وأمر بتوزيعها على مساجد الجمعة، كما أمر بإغلاق زوايا الصوفية[١].

وبعد الحوار الذي دار في أمور كثيرة مما نسب لهم ، قال الناصري : ثم قال، صاحب الجيش : هذا ما حدّث به أولئك المذكورون، سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ، ثم سألنا الباقي أفراداً فاتفق خبرهم على ذلك [٢] .

– ثم قلت هذه بعض الحقائق المقرونة بالحوار والرّصد ، وكما وعدتكم بعدم الخروج عما هو في محيط منطقتكم ، حيث نشأت الوهابية الحقيقية ، وحيث لُبِّس عليكم وعلى كثير من المسلمين ، أمر وحقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، التي قام بنشرها آل سعود .

وإلاّ ؛ فإن الشيخ محمد، كما يتضح من رسائله وردوده التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كما مرّ بنا نماذج منها، فيها نفي وتفنيد، لما ألصق بدعوته من تهم وأكاذيب ، لم يقلها ؛ بل نفاها وكرر مراراً القول : هذا بهتان عظيم [٣] .

فكيف يصدّق العاقل ، ما قيل من أمور هو في حياته سمعها ونفاها، كما نفاها تلاميذه من بعده . وهذا كتابه : كتاب التوحيد ، وشرحه فتح المجيد ،

---

(١) الاستقصاء ج٨ ، ص١٢١ - ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) يراجع في هذا الجزء الخامس من مجموع الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي نشرته جامعة الإمام ، وهو خاص بالرسائل والردود .

وتيسير العزيز الحميد ، اقرأوها بتمعّن ، وتدقيق ؛ فإن رأيتم فيها شيء يخالف ما جاء عن رسول الله ﷺ ، فلكم الحق في التشكيك ، ومثل ذلك رسائله : ثلاثة الأصول ، وكشف الشبهات ، والقواعد الأربع ، وآداب المشي إلى الصلاة وغيرها .

٤ - أما الدكتور عباس الجراري ، وهو من هنا من المغرب - ولست أدري هل اطلعتم على محاضرته في عام ١٣٩٩هـ بجامعة الرياض - جامعة الملك سعود حالياً - التي قال فيها : إن التيّار السلفي في المغرب ، قد ظهر مرة أخرى في بداية القرن الرابع عشر الهجري ، حيث وجّه السلطان الحسن عام ١٣٠٠هـ رسالة إلى الشعب المغربي ، وقد نوّه عن هذا الناصري أيضاً ، كما حصل مثل ذلك عام ١١٨٥هـ . عندما أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد ، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصيّن ، إلى والي مكة آنذاك لمناظرة علماء مكة، فكان من علماء مكة المشايخ : يحيى بن صالح الحنفي ، وعبدالوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان ، وعبدالعزيز بن هلال ، فتفاوضوا في ثلاث مسائل ، وقت المناظرة ظهرت منها لهم الحقائق المقنعة بسلامة هذه الدعوة .

ثم قلت : إن علماء مكة ذلك الوقت عندهم شبهة كما هي لدى علماء المغرب وغيرهم حسبما يتردّد من إشاعات ، وما يصلهم من أكاذيب وافتراءات ينشرها المغرضون .

وبعد ما دخل الإمام سعود بن عبدالعزيز مكة ثانية ، جرت مناظرات ، وإجابات عن تساؤلاتهم ، وكان من علماء نجد : الشيخ عبدالعزيز الحصيّن ،

والشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، الذي عينه الإمام سعود قاضياً ومفتياً بمكة حتى توفي بمكة بعد ذلك . فحصلت القناعة من علماء مكة، وصدر بهذا وثيقة وقّعها الجميع بنفي الشبهات ، والأكاذيب حول الدعوة ، وطبعت عدة مرات .

ثم في عهد الملك عبدالعزيز ، بعد ما دخل مكة عام ١٣٤٣هـ، حصل مثل ذلك ؛ مما أوجد قناعة بسلامة منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

- وأزيدكم علماً بأن القباب المبنية على القبور في مكة ، هدمت أيام الشريف عون الرفيق ، ما عدا قبر السيدة خديجه ، في الفترة ما بين الدولة السعودية الثانية ، وقيام الملك عبدالعزيز لإعادة الدولة السعودية في دورها الثالث ، كان ذلك الهدم بمشورة الشيخ أحمد بن عيسى ، وتأييد من الشريف وبعض علماء مكة ، مما يدل على القناعة [1] .

- ثم قلت : أيها الإخوة ، مما دار في نقاش ، ومما وجدنا من نصوص ، نرى أن الوهابية بعيوبها ، نسبتها إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ، خطأ محض ، وأن الوهابية التي صدرت عنها الفتاوى في كتبكم ، لا علاقة لها بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ولا تقارب بينهما ؛ لأن الخطّين المتوازيين لا يلتقيان .

ذلك أن الشيخ محمد وتلاميذه يمقتون الوهابية الرستمية ، كما يمقتها علماؤكم من قبل ؛ لأن دعوة الشيخ محمد السلفية ، لا يوجد فيها ما يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ .

- كما برز أمامنا: أن علماء المغرب برّأوا علماء الدعوة وحكام آل سعود،

---

(١) تراجع ترجمة الشيخ أحمد العيسى في كتاب ابن بسام، علماء نجد خلال ستة قرون، الجزء الأول .

الذين ناصروها إحياء لدين الله ، وتجديداً لما اندثر من سنة رسول الله ﷺ ، وإماتة للبدعة عندما تناظروا معهم في حج عام ١٢٢٦هـ ، وظهر لهم كذب ما نسب للشيخ والدعاة لدين الله ، وعلى هذا بان لنا أن أربعة من سلاطين المغرب الأقصى ، اهتموا بهذه الدعوة ، وتبنّوا نشرها في بلادهم ، وهم :

١ - المولى السلطان : سيدي محمد بن عبدالله العلويّ الذي كان معاصراً للإمام عبدالعزيز بن محمد ، وتبلّغ برسالة الإمام سعود .

٢ - المولى السلطان : سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي الذي أوفد العلماء مع ابنه المولى إبراهيم ، وتناقش مع الإمام سعود بن عبدالعزيز ، وعلمائه مع علماء الدعوة .

٣ - المولى السلطان : إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي ، الذي تسلّم زمام الأمر بعد أبيه السلطان سليمان .

٤ - المولى السلطان : الحسن الأول في عام ١٣٠٠هـ ، ووقته فترة بين الدولة السعودية الثانية، والدور الثالث لهذه الدولة، الذي قام به الملك عبدالعزيز في الخامس من شوال عام ١٣١٩هـ .

- كما أن الدكتور محمد تقي الدين الهلالي - رحمه الله - اهتم بهذه الدعوة ، وهو حسنيّ من العائلة المغربية الحاكمة ، وقد كان تيجانياً ، ثم لمّا عرف حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - حرص على نشرها ، في كل مكان ذهب إليه ، حتى استقر آخر عمره في المغرب بفاس ، ثم تحول إلى الدار البيضاء ، حتى توفي - رحمه الله - ، وقد ألّف رسالة عن

التيجانية وبطلانها، ومثله الشيخ عبدالرحمن الأفريقي الذي كان سنغالياً تيجانياً فتركها ، وألف في ذمّ ما هم عليه .

- كما جرت كتابات عديدة عن محاكمة السلفية في المغرب ، وعن انتشارها ، وتأثر قادتها بعلماء الحجاز ونجد ، في ذلك التاريخ حتى اليوم ، وقد ردّ الأستاذ أحمد العماري الذي حقّق رسالة الوتري، وقال : إن تحامله على السلفية تزمت شديد للطرقيّة على حساب السلفية والمحقق مغربيّ .

- ثم قلت : أرجو أن يكون في ذلك مقنع وكفاية ، وإن أردتم زيادة توضيحية أكثر سواء بنقل آراء العلماء من العالم الإسلامي، أو بوجهات نظر وتحليل المستشرقين من بلاد الغرب ، الذين راقبوا الأحداث ، وتتبعوا مسيرة الدعوة ، فلا مانع . لكن ذلك يحتاج إلى مصادر قد لا تتوافر هنا .

لذلك اقتصرت على علماء المغرب وحكامهم ؛ لأن طارحي الشبهة الآن مغاربة ، حيث يسهل الرجوع للمصادر من هذه المكتبة ، وذلك أقرب إلى القناعة ، أخذاً من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : خاطبوا الناس بما يعرفون ، حتى لا يكذّب الله ورسوله .

- فقال صاحبنا : كل ما ذكرت مقنع وواقعيّ ، وأزال- بحمد الله - الشبهات التي كانت تثار ، فما رأي الإخوة ؟ . قالوا : هذا صحيح ، ثم أردف قائلاً : لكن كيف أنّ هذه الإجابات المقنعة ، بين أيدينا ، وسهلة التناول، وغاب عنا استجلاؤها .

قلت له : هذا جوابه عندكم ، وطالب العلم مسئوليته أمام الله عظيمة ، فليس هو كالجاهل، الذي يلقى إليه الأمر ويصدّق ، إذْ يجب أن لا يحكم طالب

العلم على أمر إلا بعد البحث والاستقصاء، فالعاميّ ، ونصف المتعلّم ، إن وجد له عذر، إلا أن طالب العلم، والأستاذ الجامعيّ لا يعذران ؛ لأن كلاً منهما قدوة لغيره، ولأن طلاّبه يأخذون عنه، وينتظرون توجيهه، وإزالة الشبهات من أمامهم.

قال : هل من الممكن أن تكتب بهذا الخصوص في صحيفة النور التي تصدر في تطوان بالمغرب مقالاً ، قلت : نعم ؛ ثم بعد أن عدت إلى المملكة بعثت لهم مقالاً موثّقاً بمصادره .

وبعد أن نشر هذا المقال جاءتني رسائل إيجابية وسلبية ، عن صدى ما نشر عن الوهابية ؛ فالذين تحدثت معهم ، رغبوا في زيادة المقالة ، حتى تصبح رسالة تضم معلومات أوسع ، ليمكن طبعها هناك .

- وقد استجبت ، وتم ذلك - بحمد الله - وحرصت على عدم الإطالة ، مع الإشارة للمصادر حتى يسهل على راغب الزيادة ، والحريص على توسيع المدارك ، معرفة الكتب المعينة له في إشباع رغبته .

- وقد طبعت هذه الرسالة للمرة الأولى في كتيّب في تطوان بالمغرب ، في حدود عام ١٤٠٧هـ ، كما طبعت ثانية بعد ذلك بعدة سنوات في الرياض عام ١٤١٣هـ ، وقد حقق الله بها فائدة ونفعاً .

وما ذلك إلا أن أعداء الإسلام ، والراغبين في فرقة المسلمين ، وأصحاب المآرب الخاصة - أعاذ الله المسلمين من شرهم - قد وجدوا في الوهابية الرستمية ثوباً جاهزاً، ألبسوه عاجلاً هذه الدعوة السلفية الصحيحة في مقصدها، ودعوتها، خوفاً من تجمّع المسلمين ضدّهم ، حيث يريدونهم مثل الجياع الذين يلاحقون من يطعمهم : كالأيتام على مائدة اللئام .

هذا من جانب ، وللتّنفير وبث العداوات بين أبناء المسلمين من جانب آخر ، وليحققوا مآربهم بتوسيع دائرة الخلافات ، ولإثارة الشبهات في المجتمع الإسلامي . وقد كان من المصالح التي تحققت - بحمد الله - من هذه الرسالة بعد طبعها للمرة الثانية ، أن أكثر من شخص من المرموقين ، أخبرت عنهم ، بأنه قد مرت بهم مواقف في الجمهوريات الإسلامية المنفصلة، عن الاتحاد السوفيّتي، بعد انحلال الشيوعية ؛ لأن فتوى انتشرت هناك ، مستغل مرّوجها حماسة السكان إسلامياً، وقصورهم في فهم العقيدة الصحيحة والمعارف الإسلامية، تقول هذه الفتوى : إن قتل وهابيّ واحد ، أفضل من قتل مئة يهودي . حتى صار السلفيّ لا يسير منفرداً .

فاجتمع بعضهم ، ببعض العلماء وأئمة المساجد هناك . وأوضحوا لهم عن الوهابية الرستميّة ، وعن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وفق ما جاء في هذه الرسالة ، فكان من ذلك جلاء للغشاوة وإزالة للشبهة بتصحيح المفهوم ، وقد ترجمت للغات المحليّة هناك فنفع الله بها .

والذي يجب أن يدركه كل مسلم مخلص، أن الأعداء لا يكلّون ولا يملّون من ترديد شبهاتهم، ولكن المعرفة والتعليم، وردّ الأمور في دين الله إلى أصولها من كتاب الله ، وسنة رسول الله ﷺ ، اللذين هما وصية رسول الله ﷺ ، وأنهم إذا تمسكوا بهما لن يضلوا (١) ، وهما السلاح لمن يريد أن يجابه مكائد الخصوم وسمومهم .

- كما أن الدارسين لهذه الدعوة ، خرجوا بنتيجة :

---

(١) يراجع في هذا خطبة رسول الله ﷺ في حجة الوداع .

١ - أنها ليست حزباً له تنظيماته . وإنما هي تجديد لدين الله ، على خطى رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام وسلف هذه الأمة الأخيار .

٢ - أنها ليست مذهباً يخالف به معتنقوه المذاهب الفقهية المعروفة .

٣ - أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، سلفيّ العقيدة ، شأنه شأن كل من يدعو إلى منهج السلف الصالح ، في كل عصر ومصر ، يدعو إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له سبحانه .

٤ - أما مذهبه في الفروع ، فهو على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، مثلما أن هناك أحنافاً سلفيون وشوافع سلفيون ، ومالكية سلفيون .

- وقد بان لنا من هذا الحوار أن أحد سلاطين المغرب، وهو المولى السلطان: سيدي محمد بن عبدالله العلوي قال عن نفسه : «أنا وهابيّ العقيدة ، مالكي المذهب» (١)، وهو لا يقصد الوهابية الرستمية، وإنما يردّ بذلك على من وصم دعوة التوحيد الخالص لله ، بهذا النعت .

ومثله قال : عمران بن رضوان ، وهو من علماء بلدة لنجه بإيران في الجهة الشرقية من الخليج : أنا وهابي لمّا بلغته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وهو حنفي المذهب ، وقيل شافعي ، وقد مدحها بقصيدة منها هذا البيت :

إن كان تابع أحمد متوهّباً فأنا المقر بأنني وهابيّ

والأمير الشيخ الصنعاني : محمد بن إسماعيل ، وهو من اليمن وجيهاً وعالماً ، ومع أن مذهبه الفقهي زيديّ ؛ فإنه درس هذه الدعوة وأحبّها ، ومدحها ومدح الشيخ بقصيدة بدأها بقوله :

(١) انظر تاريخ أفريقيا الشمالية لشارلي جوليان ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة ٢ / ٣١١ .

سلام على نجد ومن حلّ في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ومثله الإمام الشوكاني من اليمن أيضاً [١] .

وقد استعنت بالله في إخراج هذه الرسالة المختصرة : «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» حتى تسهل القراءة ؛ لأن المطولات في هذا العصر قد لا تقرأ إلا من ذوي الاختصاص ، وأرجو أن تتحقق منها الفائدة في إزالة اللبس ، وتنقشع الغشاوة التي أراد بها أعداء الإسلام، والراغبون في الإضرار بالمسلمين بلبلة الأفكار ، وبثّ الفرقة ؛ لعل الله أن يصحح المفاهيم ، وينير الأذهان والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

ولعل مما يفيد في الموضوع إيراد رسالة كتبها الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - قبل وفاته لأهالي المغرب، يوضح فيها ما يدعو إليه من إخلاص العبادة لله وتنقية التوحيد ، مما يفيد أن الجذور الحسنة والقناعة مهّدت للاتفاق بين رأي الإمام سعود والمولى إبراهيم بعد المناظرة بين علماء المغرب بزعامة المولى إبراهيم وعلماء نجد برئاسة الإمام سعود بن عبدالعزيز في مكة حج عام ١٢٢٦هـ، وحصول القناعة بسلامة ما يدعا إليه ، ونفي الشبهات عن الشيخ محمد مما يتبرأ منه هو والعلماء بعده، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

(١) يراجع في هذا ما ذكره الشيخ ابن سحمان في الدرر السنية ، وبها القصائد . وكتاب الدكتور عبدالله أبو داهش عن أدب الدعوة في جنوب الجزيرة .

من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولن يضر إلا نفسه ؛ ولن يضر الله شيئاً ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ؛ أما بعد .

فقد قال الله تعالى : ﴿**قُلْ هذه سبيلي أدعُو إلى الله على بَصِيرةٍ أنا ومن اتّبعني وسبحان الله وما أنا من المُشْركين**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**قُل إنْ كُنتُمْ تُحِبُونَ الله فاتّبِعُوني يُحِبِبكُمُ الله ويَغفِر لكُم ذُنُوبَكُم**﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام ديناً**﴾ [4]؛ فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله ﷺ، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف فقال تعالى : ﴿**اتَّبعُوا ما أنزلَ إليْكُم منْ ربّكُم وَلا تَتَّبعُوا منْ دونهِ أوْلِيَاءَ قليلاً مَّا تَذكرُونَ**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿**وَأنَّ هذا صراطي مُستَقِيماً فاتّبِعُوه ولا تَتبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلهِ ذَلِكمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُون**﴾[6]؛ والرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه ﷺ أنه قال:

---

(١) سورة يوسف ، آية ١٠٨ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٣١ .

(٣) سورة الحشر ، آية ٧ .

(٤) سورة المائدة ، آية ٣ .

(٥) سورة الأعراف ، آية ٣ .

(٦) سورة الأنعام ، آية ١٥٣ .

«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟، قال : فمن؟، وأخبر في الحديث الآخر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا : من هي يا رسول الله ؟ ، قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي .

إذا عرف هذافمعلوم ما قد عمت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله، والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان ، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفرائد إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله . وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها؛ لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً كما قال تعالى : **﴿فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدين ألا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ والذين اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللهَ زُلْفَى إنَّ الله يحكُمُ بَيْنَهُمْ فِيما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إنَّ اللهَ لا يَهْدِي من هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** [1] ، فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين إلا ما كان خالصاً لوجهه، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم إلى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده ، وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار، فكذبهم في هذه الدعوى وكفرهم فقال : **﴿إنَّ الله لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾** وقال تعالى : **﴿ويَعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُم ويَقُولون**

---

(١) سورة الزمر ، الآيتان ٢ ، ٣ .

هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [1] ، فأخبر أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : **﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾** [2] .

فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه كما قال تعالى : **﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾** [3] ، وقال تعالى : **﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾** [4]، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد كما قال تعالى: **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾** [5]، وقال تعالى : **﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾** [6] ، فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى كما قال تعالى : **﴿وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾** [7]، وقال : **﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين﴾** [8]، فإذا كان الرسول ﷺ وهو

---

(١) سورة يونس ، آية ١٨ .

(٢) سورة الزمر ، آية ٤٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية ٥٥ .

(٤) سورة طه ، آية ١٠٩ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية ٢٨ .

(٦) سورة سبأ ، الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٧) سورة الجن ، آية ١٨ .

(٨) سورة يونس ، آية ١٠٦ .

سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بإذن الله لا يشفع ابتداء بل : «يأتي فيخر ساجداً فيحمده بمحامد يعلمه إياها ثم يقال له : ارفع رأسك ، وكل يسمع ، وسل تعط ، واشفع تشفع ثم يحد له حداً فيدخلهم الجنة» فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء ؟

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ؛ بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ، ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم .

وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها والسرج، والصلاة عندها ، واتخاذها أعياداً ، وجعل السدنة والنذور لها؛ فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بوقوعها النبي ﷺ، وحذر منها كما في الحديث عنه ﷺ أنه قال : «**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» وهو ﷺ حمى جناب التوحيد أعظم حماية وسد كل طريق يوصل إلى الشرك فنهى أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وثبت فيه أيضاً أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سوّاه ، ولا تمثالاً إلا طمسه ؛ ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ .

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم،

وهو الذي ندعو الناس إليه، ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح من الأئمة ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حتى لا تَكونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدينُ كلّهُ لله**﴾[1]، فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان كما قال تعالى : ﴿**لَقَدْ أرْسَلْنا رُسُلَنا بالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمْ الكتابَ والميزَان لِيَقُومَ النّاسُ بالقِسْطِ وَأنْزَلْنا الحديدَ فيه بَأسٌ شَديدٌ وَمَنَافِعُ للنّاسِ ولِيَعْلَمُ اللهُ مَنْ يَنْصرهُ وَرُسُلَهُ بالْغَيْب إنّ اللهَ قويٌ عَزيزٌ**﴾ [2] ، وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان ، وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر كما قال تعالى: ﴿**الذينَ إنْ مَكّنّاهُمْ في الأرْضِ أقَامُوا الصّلاةَ وآتُوا الزكاةَ وأمروا بالمعْروف ونَهوا عَنِ الْمُنْكَر ولله عَاقِبَةِ الأمُور**﴾ [3] .

فهذا هو الذي نعتقد وندين لله به ، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضاً أن أمة محمد ﷺ المتبعين لسنته لا تجتمع على ضلالة، وأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك ، وصلى الله على محمد [4] .

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٣٩ .

(٢) سورة الحديد ، آية ٢٥ .

(٣) سورة الحج ، آية ٤١ .

(٤) أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب : المجموع ، ج٨ ، ص١١٠ - ١١٥ الرسائل الشخصية ؛ وانظر أيضاً : الدرر السنية .